2024 تشرين1 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية العدد 7
October 2024 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences No. 7
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

نشوء الحضارة وتطورها في العصور القديمة (دراسة آثارية حضارية)

م.د. محمد صالح عبد الصاحب
جامعة سومر
drmohammedalnashi@gmail.com
م.م. مهند عباس كاظم
جامعة سومر
muhannad4343@gmail.com

الملخص

مفهوم الحضارة اليوم ليس مفهوماً حديثاً، بل هو مفهوم عريق يمتد عبر الزمن، إذ لا يمكن تصور حضارة دون إنسان، ولا إنسان بلا تاريخ، ولا وجود لحضارة لا ترتبط بالتاريخ، حيث تُعد الحضارة جزءاً لا يتجزأ من هذا السياق. لقد وفرت لنا الأبحاث العلمية والحفريات رؤى واضحة تقريباً عن الحياة في العصور السابقة، بدءاً من عصور ما قبل التاريخ. يتناول هذا البحث نشوء الحضارة وتطورها في العصور القديمة تكون البحث من ثلاث مباحث تناولت في المبحث الاول مفاهيم الحضارة والبداوة والثقافة والمدنية والمبحث الثاني تناولت في نشوء الحضارة وتطورها، اما البحث الثالث تناولت فيه تطور الحضارة. بدأ الإنسان في ممارسة الزراعة، مما سمح له بالانتقال من حياة الصيد وجمع الثمار إلى الاستقرار، وهو ما أسس لظهور الحضارات، وقد نشأت حضارات قديمة مثل حضارة ما بين النهرين والحضارة المصرية، التي تميزت بتقنياتها المتقدمة وأنظمة الكتابة في الألفية الأولى قبل الميلاد كما كان للحضارات اليونانية والرومانية تأثير كبير في مجالات الفن والفلسفة والهندسة المعمارية، وفي العصور الوسطى، شهدت كل من أوروبا والشرق تطورات هامة، حيث برزت الحضارة الإسلامية في مجالات العلوم والفنون، وكانت الثورة الصناعية نقطة تحول رئيسية، إذ أدت إلى تغييرات جذرية في الإنتاج والمجتمع. تسلط هذه الورقة البحثية الضوء على بعض الجوانب المتعلقة بحضارة العراق القديم وتطورها عبر العصور. وتم التركيز على التحديات التي تواجه العلاقة بين الحضارة والبداوة، والثقافة والمدنية، خاصة في عصر العولمة، ويناقش كيف يمكن أن تؤثر التغيرات السريعة في التكنولوجيا والاقتصاد على هويات المجتمعات وتقاليدها، واخيرا تُعتبر الحضارة نتاجًا للحضور والظهور، وهي تعكس التحضر والتقدم، حيث تسبقها مرحلة البداوة، ويُعد الاستقرار العامل الرئيسي الذي يميزها، مما يخلق تحديات تتعلق بالحفاظ على التراث الثقافي وتحقيق التوازن بين التقدم والتقاليد.

كلمات مفتاحية:الحضارة، العصور القديمة، المدن، مجتمعات،ثقافة

The emergence and development of civilization in ancient times (an archaeological and cultural study)

Lr. Dr. Muhammad Salih Abdul Sahib
Sumer University
drmohammedalnashi@gmail.com
A. L. Muhannad Abbas Kazim
Sumer University
muhannad4343@gmail.com

Abstract

The concept of civilization today is not a modern concept, but rather an ancient concept that extends through time, as it is impossible to imagine a civilization without a human being, nor a human being without history, nor the existence of a civilization that is not linked to history, as civilization is an integral part of this

context. Scientific research and excavations have provided us with almost clear visions of life in previous eras, starting from prehistoric times. This research deals with the emergence and development of civilization in ancient times, The research consists of three topics, The first topic dealt with the concepts of civilization, nomadism, culture and urbanism. The second topic dealt with the emergence and development of civilization, while the third research dealt with the development of civilization. Man began to practice agriculture, which allowed him to move from a life of hunting and gathering to a settled life, which laid the foundation for the emergence of civilizations. Ancient civilizations such as the Mesopotamian and Egyptian civilizations emerged, which were distinguished by their advanced technologies and writing systems in the first millennium BC. The Greek and Roman civilizations also had a great influence in the fields of art, philosophy and architecture. In the Middle Ages, both Europe and the East witnessed important developments, as the Islamic civilization emerged in the fields of science and arts, and the Industrial Revolution was a major turning point, as it led to radical changes in production and society. This research paper sheds light on some aspects related to the civilization of ancient Iraq and its development over the ages. The focus is on the challenges facing the relationship between civilization and nomadism, culture and urbanity, especially in the era of globalization. It discusses how rapid changes in technology and economy can affect the identities and traditions of societies. Finally, civilization is considered a product of presence and emergence, and it reflects urbanization and progress, as it is preceded by the stage of nomadism, and stability is the main factor that distinguishes it, which creates challenges related to preserving cultural heritage and achieving a balance between progress and traditions.

Keywords: civilization, ancient times, cities, societies, culture

المقدمة

تعود جذور الحضارة الإنسانية إلى آلاف السنين حيث انتقل البشر من نمط حياة الترحال والصيد وجمع الثمار إلى الاستقرار والزراعة. يُعرف هذا التحول الكبير بالثورة الزراعية، وقد كان بمثابة الشرارة التي أطلقت مسيرة التطور الحضاري. بدأ الإنسان في تعلم كيفية السيطرة على الطبيعة واستغلال مواردها، مما أدى إلى تطور أشكال العمارة والمدن التي تشكل جوهر الحضارات. ومع تقدم الزراعة، زادت الحاجة إلى تطوير الأدوات والتقنيات. هنا برزت الحضارات القديمة مثل حضارة ما بين النهرين والحضارة المصرية، وصولًا إلى الحضارة الإسلامية، التي تميزت بأنظمة ري معقدة وعمارة متطورة تجلت في القصور والمساجد،

ومع تطور هذه الحضارات، ظهرت أنظمة كتابة متنوعة مثل الكتابة المسمارية والهيروغليفية، مما أتاح توثيق الأحداث التاريخية والمعرفة. في الألفية الأولى قبل الميلاد، شهد العالم ازدهار حضارات متعددة مثل اليونانية والرومانية، التي تركت أثرًا عميقًا في مجالات الفن، الفلسفة، العمارة، والقانون. كان لليونان تأثير كبير في تطور الفلسفة والديمقراطية، بينما ساهم الرومان في تطوير الهندسة والقانون،ومع انتقال الزمن إلى العصور الوسطى، شهد العالم تطورات مهمة في مناطق مختلفة في الشرق، برزت الحضارة الإسلامية، التي ساهمت في تطوير العلوم، الرياضيات، الطب، والفنون في أوروبا، تميزت هذه الفترة

بالنظام الإقطاعي والتطورات الدينية والفنية كبناء الكاتدرائيات الضخمة، وفي العصور الحديثة شهدت الثورة الصناعية، التي غيرت وجه الحضارة الإنسانية بشكل جذري.

وقد ظهرت آلات وتقنيات جديدة التي أدت إلى تحسينات كبيرة في مجالات الإنتاج والنقل، مما أسفر عن تغييرات اجتماعية واقتصادية واسعة. وفي القرن العشرين، دخل العالم في عصر التكنولوجيا الرقمية، الذي أحدث تحولات جذرية في طرق تواصلنا وعملنا وتفاعلنا مع محيطنا ، وتعكس هذه الرحلة الطويلة للحضارة الإنسانية، من العصور الحجرية إلى عصر المعلومات، كيف تطورت البشرية بفضل الابتكار والاكتشافات المستمرة، ومما ساهم في تشكيل العالم الذي نعيش فيه اليوم.

اهمية البحث : تعتبر الحضارة ركيزة أساسية للتقدم البشري، حيث تمثل مرحلة متطورة من مراحل التطور الإنساني، ومن المؤكد أن المفاهيم السابقة المتعلقة بالحضارة تحتاج إلى إعادة تقييم، وذلك لفهم مدى توافقها مع الواقع المعاصر في ما يتعلق بظهور الحضارات واستمراريتها وأسباب انهيارها بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يساعد البحث في تحليل التحديات الراهنة التي تواجه الحضارة الإنسانية من خلال استعراض تجاربها التاريخية.

هدف البحث: إبراز الحضارة ومفهومها، بالإضافة إلى استكشاف العلاقة بين الثقافة والمدنية، وكيفية نشوء الحضارات وتطورها يتضمن ذلك تقديم تحليل شامل للعوامل المتنوعة التي ساهمت في نشوء وتطور الحضارات، بما في ذلك دراسة التطورات التكنولوجية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي شكلت العالم الذي نعيش فيه اليوم، ويهدف هذا البحث إلى تقديم فهم عميق للأسس التي بُنيت عليها الحضارات الإنسانية، كما يسهم في تقدير العوامل التي ساعدت في تطورها الحضارات القديمة.

مشكلة البحث: المشكلة التي يعالجها البحث تتمثل في فهم كيفية تأقلم البشرية مع التحديات المختلفة عبر التاريخ وكيف أدت هذه التحديات إلى ابتكارات وتغيرات حضارية. تشمل هذه المشكلة أيضاً فهم كيفية تأثير التطورات التاريخية على المجتمعات الحديثة.

المبحث الأول

مفهوم (الحضارة ،البداوة، الثقافة، المدنية)

الحضارة لغةً: الإقامة في الحضر[1]، وهي مصدر حضر، مدن وقرى ومنازل مسكونة[2]، واما اصطلاحًا: مجموعة المظاهر العلمية والأدبية والفنية والاجتماعية الموجودة في المجتمع ، وتعتمد الحضارات الإنسانية المختلفة على بعضها فكل حضارة تأتي متممة للحضارة التي سبقتها ، وتسهم هذه الحضارات في البناء الإنساني للعالم بأكمله،[3] وإن إستخدام الحضارة بمعنى الحضر جاء في الفقرة السادسة، أي بعد خمس فقرات واستخدامات للمفهوم، وجميعها بعيد عن هذا المعنى، وكذلك فإن هذا هو الاستخدام الوحيد لمفهوم الحضارة بمعنى الحضر على مدى اثني عشر عمودًا فقد ذكرها ابن منظور في (لسان العرب) تشمل خمس صفحات، ولذلك سوف نورد هذه الاستخدامات:[4]

1. الحضور نقيض المغيب والغيبة، حضر يحضر حضورًا حضارة،
2. وكلمة حضارة بمعنى عنده: كنا بحضرة ماء، ورجل حاضر بمحضر فلان وبحضرته أي بمشهد منه
3. قرب الشيء: الحضرة: وتقول كنت بحضرة الدار.
4. جاء أو أتى: حضرت الصلاة، أو حضر القاضي.
5. الحضر خلاف البدو والحضارة الإقامة في الحضر.

---

[1] الفيروز آبادي،مجد الدين ابي طاهر محمد بن يعقوب :القاموس المحيط، ص 373، مؤسسة الرسالة،بيروت-لبنان،ط8، 2005.

[2] ابن منظور، ابو الفضل محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، مادة بدا،ص465، دار صادر- بيروت،1997.

[3] ابن خلدون،عبد الرحمن محمد: مقدمة ابن خلدون، ص152،دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2001.

[4] ابن منظور: المصدر السابق، مادة حضر.

6. الحاضرة: الحي العظيم.
7. الحاضر: عكس المسافر.

فهناك استخدامات أخرى للكلمة تشير إلى معانٍ مثل "الحضير"، الذي يعني الدم الغليظ، وعند النظر إلى هذه الدلالات، يتضح أن المعنى الأكثر شيوعًا وانتشارًا لكلمة "حضر" هو بمعنى "شهد"، أي الحضور كضد للغياب، والحضارة بمعنى الشهادة. هذا الاستخدام هو الأكثر ذكرًا في جميع معاجم اللغة، وكأنه يمثل الأصل في مفهوم الكلمة أو مرادفها. ومع ذلك، فإن الكثير ممن يبحثون في الأصل اللغوي للكلمة يميلون إلى تفسير الحضارة بمعنى الاستقرار في الحضر أو كمعاكس للبداوة، رغم أن المعنى الأول الذي يظهر في أي معجم هو الحضور كضد للغياب أو بمعنى الشهادة، وحتى عندما يتعامل البعض مع المعنى الأول، فإنهم غالبًا ما ينحرفون به نحو دلالات مفهوم "Civilization"، ونجد من يعرف الحضارة بشكل مختلف بالآتي: الحضارة من حضر يحضر، يحضر الشخص ليعمل مع الآخرين كي يتأنس ويؤنس محيطه، وبذلك يهيئ الشروط اللازمة التي توفر الكرامة لديه، فمتحضر كل مجتمع يحترم الكرامة ويجسدها في معاملات أفراده، والحضارة تراث مشترك بين جميع الشعوب قديمها وحديثها، وإنها إرث إنساني في نمو لا ينقطع، مثل بحر زاخر بالمياه والأمواج وله روافد عديدة تصب فيه على الدوام، تلك الروافد هي الثقافات القومية، وانطلاقاً من الجذر اللغوي حضر بمعنى شهد من الحضور الذي هو نقيض المغيب، وعندما نبحث عن الدلالات القرآنية لهذا المفهوم، فنجد وروود كلمة حضر في القرآن الكريم وذكرت في الآيات القرانية في قوله تعالى : ((إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ))[5] سورة البقرة (آية:١٨٠)، وفي سورة النساء قوله تعالى: ((وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى))[6](آية:48)، وفي قوله تعالى:((فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ))[7]سورة البقرة(آية:١٨٥)، وجميع هذه الآيات والدلالات تؤدي الى معنى الشهادة أو الحضور.[8]

وقد ظهر استخدام اللفظ العربي "حضارة" كمرادف للفظ الإنجليزي "Culture"، بينما عندما يتناول المترجمون اللفظ الأوروبي "Civilization"، فإنهم يستخدمون مصطلحات مأخوذة من كتابات علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا العرب في ترجماتهم للأعمال الأوروبية في هذين المجالين وبالتالي، أصبح الحديث عن مفهوم الحضارة يشير بشكل أساسي إلى "Culture" في السياق الأوروبي على سبيل المثال، نجد أن المترجمين لكتابات كلود كلوكهون، ورالف لنتون، وغيرهم قد استخدموا مصطلح "حضارة" (Culture) في ترجماتهم، بينما استخدم بعضهم الآخر مصطلح "مدنية"، وفي كلا الحالتين، فإن التعريفات والدلالات المتداولة تعكس المفهوم الأوروبي المترجم، وليس الجذر العربي لهذه الألفاظ أو معانيها في الفكر العربي[9] ، ويمكن القول إن استخدام مفهوم الثقافة يتجه نحو دلالات مختلفة، بحيث لا يمكن اعتبار أن المقصود من هذا اللفظ هو المعنى والمدلول العربي المعروف،بل إن الإشارة هنا تتعلق بالدلالات التي ظهرت خلال تطور الفكر الأوروبي وتاريخه لذا يُفضل أن يُستخدم مصطلح (Culture) بجانب كلمة (الثقافة) لتوضيح أن المعنى المقصود يتضمن المفاهيم الأوروبية، ويعود أصل الكلمة الأوروبية (Civilization) إلى الجذر اللاتيني (Civites) الذي يعني مدينة، و(Civis) بمعنى ساكن المدينة، أو (Civilis) بمعنى المواطن[10] ، ويتعلق الأمر بسكان المدينة، أو ما يُعرف بالمواطن الروماني الذي يتعالى على البربري، ولم يُشتق مصطلح "الحضارة" (Civilization) حتى القرن الثامن عشر،ويُعتقد أن المركيز دي ميرابو كان من أوائل الكتاب الذين استخدموا هذا المصطلح في كتابه "صديق الرجال" أو "مقال في السكان"، الذي نُشر عام 1757.

---

[5] سورة البقرة: الآية:180.
[6] سورة النساء: الآية:48.
[7] سورة البقرة: الآية:185.
[8] عارف، نصر محمد: الحضارة-الثقافة-المدنية،ص 55، المعهد العالي للفكر الاسلامي،عمان،ط2، 1994.
[9] زكريا، فؤاد: الانسان والحضار ة في العصر الصناعي،مؤسسة هنداوي،القاهرة،2018.
[10] Weiner, Philip (ed.). Dictionary of the History of Ideas. New York: Charles Scribner's Sons, (67), 1973. P.613.

وقد ثبت أن الكلمة كانت تحمل في بداياتها، ولمدة تقارب الخمسين عامًا بعدها، معنى مختلف تمامًا عن المعاني التي أضافها إليها كل من اشبنجلر وتوينبي وآخرون. يشير ميرابو إلى مفهومه لهذه الكلمة في كتاب آخر بعنوان "صديق النساء" أو "مقال في الحضارة"، الذي لا توجد منه سوى نسخة خطية محفوظة في المتحف الوطني بباريس، وقد كُتب حوالي عام 1766وفي هذا الكتاب، عرّف دي ميرابو الحضارة بأنها تعكس رقة طباع الشعب وتطوره وتهذيبه ومعارفه المنتشرة، بحيث تراعي الفائدة العلمية العامة وتتيح المجال لقانون التفضيلات. كما أكد أن الحضارة لا تقدم شيئًا للمجتمع ما لم تمنحه جوهر الفضيلة وشكلها[11].

وقبل الخوض في التعريفات المتعددة لمفهوم "الحضارة"، فمن المهم أن نستعرض الدلالات المستمدة من أصل هذا المصطلح وجذوره، ويرتبط هذا المفهوم بكلمة "Civitas" التي تعني مدينة، وبالتالي يحمل هذا الاشتقاق العديد من الدلالات المرتبطة بمصدره في جوهره، وهذا يعكس نمط حياة المدينة وما يتضمنه من قيم وسلوكيات ونظم ومؤسسات وغيرها.[12]

البداوة

مفهوم البداوة في اللغة: تُعرف البداوة بفتح الباء وكسرها بأنها الإقامة في البادية، وهي تعبر عن النقيض للحضارة كما أن كلمة "البداوة" تحمل معاني أخرى مثل السبق والبدو، حيث تشير إلى الحياة في المناطق الريفية، وبالتالي فإن البداوة تمثل حالة مغايرة للحضارة[13] ، البادية تشير إلى الأراضي التي تفتقر إلى الحياة الحضرية. وعندما يغادر الناس المدن إلى المراعي في الصحاري، يُقال إنهم قد بدوا[14] مفهوم البداوة يعد موضوعًا مثيرًا للجدل بين الباحثين، حيث يعرفه البعض كنمط حياة يعتمد على التنقل المستمر بحثًا عن الرزق، ويتميز بالاستقرار المؤقت في مناطق تفتقر إلى الاستقرار من حيث الموارد المعيشية المتاحة، بالإضافة إلى الأمان الاجتماعي والطبيعي[15] تُعتبر البداوة نمطًا من أنماط الحياة الاجتماعية المعروفة في المناطق الصحراوية، حيث تعيش جماعات البدو، ويستفيد هؤلاء البدو من المراعي الشاسعة والعشب الأخضر، ويقومون بتحويلها بفضل مواشيهم إلى لبن سائل أو جبن صلب، ثم يقومون بنقل هذه المنتجات إلى سكان المدن،[16] وتعتبر البداوة أول نمط اجتماعي عاشه الإنسان في حياته[17] .

كما تتطلب مسيرة التقدم البشري من الإنسان الانتقال من المجتمعات القبلية البدوية إلى مجتمعات مستقرة تتوحد فيها الأفراد على أسس قومية أو اتحادية أو عقائدية، كما هو الحال في المجتمعات المتحضرة التي عرفها الإنسان حتى الآن، ويُعتبر مهد الإسلام[18] ، تجلى في مجتمع قبلي بدوي بلا شك، ولكن هنا نلاحظ عظمة الإسلام ورقي الدعوة السماوية فرغم الظروف البدوية جاء الإسلام ليشجع على حياة الاستقرار والتحضر، وينتقد الأعراب الذين يعيشون في البوادي والواحات، مشيرًا إلى أنهم أكثر كفراً ونفاقاً من سكان

---

11 نيف، جون: الاسس الثقافية للحضارة الصناعية، ترجمة محمود يوسف زايد، ص 127،دار الثقافة،بيروت، 1962.

12 نيف، جون : المصدر السابق، ص128-129.

13 ابن منظور: المصدر السابق،مادة بدا.

14 الازهري، ابو منظور محمد بن احمد الهروي: تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون، مادة بدا، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة،1964.

15 توني، يوسف : معجم المصطلحات الجغرافية،ترجمة حمد الطفيلي، ص97، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2002.

16 مشارقة، محمد زهير: الحياة الاجتماعية عند البدو، ص27،دار طلاس،دمشق، ط1، 1988.

17 الفوال،صلاح مصطفى : تنمية المجتمعات الصحراوية، ص 109،مكتبة القاهرة الحديثة، مصر د-ط، 1967.

18 "مهد الإسلام" هو عنوان كتاب ألفه المستشرق لامنس (H. Lammens, Le Berceau de l'islam)، حيث تناول فيه الثقافة العربية والشعر العربي قبل الإسلام، بالإضافة إلى مواضيع مثل التلصص وأهل الصعلكة، وغيرها من القضايا التي تعكس بلا شك الجهود اللغوية التي قام بها المؤلف. ومع ذلك، فإن الهدف الأساسي من الكتاب هو التشكيك في الإسلام وإظهاره كنتاج لعقل بدوي وروح قبلية. ووفقًا للمقولة المعروفة "اطلب العلم ولو في الصين"، لا يمكننا إلا أن نشير إلى أن أمثال لامنس يمثلون عارًا في تاريخ الاستشراق والعلم الغربي. إن القول بأن الإسلام هو نتاج البداوة ولا يصلح إلا لأهل البدو هو فكرة مغلوطة، ونسعى من خلال هذا المقال إلى توضيح فسادها.

المدن.[19] إنهم يعرفون الإسلام فقط كاسم، حيث لا يدخل الإيمان إلى قلوبهم إلا بعد جهد كبير. كما في قوله تعالى: " قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "[20] (سورة الحجرات، الآية 14)، كان العرب قبل الإسلام يعيشون في شبه الجزيرة وأطراف العراق وسوريا، في مملكتي اللخميين في الحيرة والغساسنة في الشام، بالإضافة إلى اليمن التي كانت تتمتع بحضارة عريقة. هناك، كانت توجد دولة شبه مستقلة يحكمها الأبناء، وهم أحفاد جيش فارسي استعمر اليمن وتزاوج مع سكانه، وظل على علاقات ضعيفة مع دولة الأكاسرة. كان العرب في تلك الدويلات أو في واحات كبيرة وملتقى طرق قوافلهم مثل مكة ويثرب والطائف، يعيشون في مجتمعات قائمة على تنظيم قبلي، حيث كانت الروح العشائرية هي السائدة من الحيرة إلى صنعاء ومن البحرين إلى الشام[21] .

حتى عندما ظهرت الأحلاف، لم يتغير الاستقلال النسبي لكل قبيلة فقد أدرك سكان الواحات الكبيرة أن نمط الحياة المستقرة شبه المتحضرة الذي يعيشونه يتطلب القضاء على بعض جوانب التنظيم القبلي البدوي في المجتمع، ورغم اختلاف سكان الحيرة أو اليمن أو يثرب عن أهل الوبر البادين والعرب الرحالة، إلا أن هذا الاختلاف لم يقضِ على القبلية بشكل نهائي لدى أهل مكة أو غيرهم فقد ظل أهل مكة ويثرب يتكونون من مجموعة من القبائل إذا نظرنا إليهم من منظور الأمم المتحضرة المستقرة، وقد ظل الانتماء إلى هذه القبيلة أو تلك كما هو في المدن والبوادي، ولم تتغير العصبية القبلية كما استمرت المعتقدات الوثنية وعلاقاتها بالعفاريت والأرواح، وما يُعرف بالنزعة الحيوية. تشارك العرب في هذه الأمور بشكل متفاوت فيما بينهم، ويعتبر نظام الثأر في الجاهلية دليلاً على طبيعة المجتمع البدوي القبلي، حيث لا يُشترط أن يكون الاقتصاص من القاتل نفسه، بل يمكن أن يُؤخذ شخص آخر غير القاتل بجريرة لا علاقة له بها، سوى كونه مرتبطًا بالقاتل أو المجرم بالنسب أو المصاهرة أو الجوار أو الولاء أو التبني، وتعتبر هذه المعايير شائعة بين القبائل والبدو، وقد أدت هذه الثارات إلى فناء قبائل واندثار أحياء نتيجة للصراعات المستمرة[22].

وعندما ظهر الإسلام، لم يكن لدى العرب دولة بالمعنى الحقيقي للكلمة. فقد كانت اليمن تحت حكم أبناء معين، وكانت لها علاقات مع فارس. كما كانت الحيرة دويلة صغيرة أنشأها الفرس على حدودهم لحمايتهم من غارات عرب المحرّاء، ولتكون بمثابة حامية ضد الإمبراطورية الرومانية. وكان الوضع مشابهًا بالنسبة لدولة الغساسنة. في مكة، كان هناك تحالف بين القبائل، حيث كان سادة قريش، المعروفون بالملأ، يحكمون، مدفوعين بمصالحهم المالية للتعاون، لكن دون وجود قانون مكتوب أو رئيس بمعنى الكلمة، بل كان هناك وجهاء يشبهون شيوخ القبائل يتعاونون بشكل مؤقت .

أما في يثرب، فقد كانت قبائل اليهود مثل النضير وقينقاع وقريظة تعاني من ضعف نتيجة الحروب الطاحنة فيما بينها، ولم يكن لديهم دولة موحدة، كما كانت قبيلتا الأوس والخزرج تحكمهما. وكان نظام الزواج يفضل ابنة العم أو ابنة الخال، مع النفور من الزواج من نساء قبائل أخرى، مما يعكس التقاليد البدوية والطبيعة القبلية. هذه أمثلة بسيطة تعكس وضع العرب في الجاهلية. فهل كان الإسلام استمرارية لهذا الوضع، أم كان ثورة وانقلابًا؟ هل الإسلام، كما يسعى أعداؤه إلى تصويره، هو دين البداوة، أم أنه رسالة تدعو إلى الحياة المستقرة وتنظيم المجتمع وفق أسس مقبولة لدى أهل الحضارة؟ جاء الإسلام رحمة للعالمين، وكان ثورة على نظام القبيلة والتركيبة الاجتماعية التي تعتمد عليها. وفي هذا المقال، سنشير إلى ما أوجده الإسلام منذ عصر الرسول، وهو ما يعتقد كل مسلم مخلص أنه يصلح لكل الناس وفي جميع العصور، رغم التطورات الطبيعية. إننا نؤكد أن الإسلام يقف في مواجهة الوثنية الجاهلية، وهو نقيض لها

---

[19] سورة التوبة : الاية:97.
[20] سورة الحجرات: الآية: 14.
[21] الشماع، صالح : البداوة والحضارة في القران الكريم، ص223، دار النشر كلية الآداب،جامعة بغداد، العراق،ع5، 1962.
[22] الشماع، صالح: المصدر السابق، ص224-225.

تمامًا. وبالتالي، فإن النظريات التي تدعي أن الإسلام هو نتاج الجاهلية وظروف البداوة هي آراء باطلة، وإذا كانت تدل على شيء، فهي تعكس جانبًا من جوانب الاستشراق[23].

فيما يلي نستعرض أربعة تركيبات اجتماعية أوجدها الإسلام بهدف إلغاء نظام القبيلة، الذي كان يشكل النظام الأساسي في المجتمع الجاهلي سواء في البادية أو الحضر. هذه التركيبات الإسلامية هي:

أولاً: الفرد. فقد منح الإسلام قيمة للفرد لم تكن موجودة في الجاهلية على الإطلاق.

الثقافة: ترجع أصول كلمة "ثقافة" إلى الكلمة اللاتينية "Cultur" التي تعني حرث الأرض وزراعتها[24]، استمرت الكلمة مرتبطة بهذا المعنى خلال العصرين اليوناني والروماني، حيث استخدمها شيشرون بشكل مجازي بنفس الدلالات. فقد أطلق على الفلسفة مصطلح "Mentis Culture" الذي يعني زراعة العقل وتطويره[25] مؤكدًا أن الفلسفة تهدف إلى تربية الناس على احترام الآلهة، استمرت هذه الفكرة حتى القرون الوسطى، حيث أُطلق مصطلح "الثقافة" في فرنسا على الطقوس الدينية. وفي عصر النهضة، اقتصر مفهوم "Culture" على معناه الفني والأدبي، مما أدى إلى ظهور دراسات تركز على التربية والإبداع. بعد ذلك، بدأ فلاسفة القرن السابع عشر في تطبيق المناهج العلمية لدراسة القضايا الإنسانية، وخصصوا مجالًا خاصًا للعمليات المرتبطة بمفهوم "الثقافة"[26] ،ففي كتابه "تقدُم المعرفة" يعتمد فرنسيس بيكون صورة التثمير الزراعي للدلالة على أحد مرامي الفلسفة الكامن في هذا المفهوم.[27] واستخدمها بذات المعنى فولتير وأقرانه من مفكري فرنسا، حيث كانت كلمة (**Culture**) تعني لديهم تنمية العقل وغرسه بالذوق والفهم وتزيينه بالمعرفة.[28] واستعملها توماس هوبز بمعنى العمل الذي يبذله الإنسان لغاية تطويرية سواء أكانت مادية أم معنوية.[29] واستمرت الكلمة في الحفاظ على جذرها اللغوي والدلالات المشتقة منه حتى جاء إدوارد تيلور وقدم كتابه "الثقافة البدائية" عام 1871. في الفقرة الأولى من هذا الكتاب، وضع تعريفًا يُعتبر حتى اليوم من أكثر التعريفات دقة وشمولية، ولا يزال يُستخدم في معظم الكتابات الأنثروبولوجية. ينص هذا التعريف على أن الثقافة، بمعناها الأثنوغرافي الواسع، هي الكل المركب الذي يتضمن المعرفة والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين والعادات، بالإضافة إلى جميع القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع[30].

عند انتقال مفهوم (Culture) إلى (Kulture) في اللغة الألمانية، اكتسبت الكلمة دلالة جماعية، حيث أصبحت تشير إلى التقدم الفكري الذي يحققه الفرد أو الجماعات أو الإنسانية بشكل عام. وهذا يتماشى مع الرؤية الألمانية لتاريخ البشرية، التي تعتبر درجات التقدم الفكري معياراً أساسياً للتمييز بين مختلف مراحله[31]، وفي القرنين التاسع عشر والعشرين تناول المفكرون الألمان، من خلال دراسة تاريخ الثقافة، طبيعة الحياة الروحية والعلاقة بين علوم الثقافة والعلوم الطبيعية، وقد أوضح هيغل والفلاسفة الرومانتيكيون مثل فردريك نيتشه، فيلهيلم ديلتاي، فيلهيلم فانيدل، هاينريش رو بكيرت، وجورج سيميل، المعالم الأساسية للتفكير الفلسفي والاجتماعي الذي يستند إلى القيم المجسدة في إنتاجات هذا المفهوم وطبيعة القيم المرتبطة به.

---

[23] الشماع، صالح: المصدر نفسه، ص225.

[24] Wiener, Philip (ed), Dictionary of the History of Ideas, New York: Charles Scribner's Sons, (1) (1973) p 613.

[25] زيادة، معن: معالم على طريق تحديث الفكر العربي، ص29،عالم المعرفة، الكويت، رقم ١١٥ ،1987.

[26] لبيب،الطاهر: سوسيولوجية الثقافة، ص7، دار الحوار،سورية،ط1987،3.

[27] زيادة، معن: المصدر السابق، ص ٣١١ - ٣١٢.

[28] زيادة، معن: المصدر نفسه،ص ٤٨.

[29] زيادة، معن: المصدر نفسه، ص ٣١٢.

[30] Tylor. H. B. Primitive Culture, New York, Brentano's (1924) p 1.

[31] لبيب ، الطاهر:المصدر السابق، ص7.

من جهة أخرى، بدأ المفكرون الإنجليز في تناول القضايا السياسية والدينية من منظور تطبيقات الثقافة العملية. فقد عرّف ماثيو أرنولد الثقافة بأنها عملية تطور نحو الكمال الإنساني، تتم من خلال استيعاب أفضل الأفكار التي توصل إليها العالم وتطوير الخصائص الإنسانية الفريدة. ويعتقد أن الثقافة الدينية، لما تقدمه من تعليم حول الاستقامة والانضباط، تساهم إلى جانب الثقافة العلمانية، التي تركز على الحقائق الموضوعية، في تحسين الحياة الإنسانية. كما يعرفها الفيلسوف الأمريكي جون ديوي بأنها نتيجة التفاعل بين الإنسان وبيئته.[32] يعرّف رالف لنتون الثقافة بأنها مجموعة متكاملة من السلوكيات المكتسبة ونتائجها، حيث تتشارك عناصرها وتنتقل بين أفراد مجتمع معين. بينما يعرّفها كلايد كلوكهون على أنها مجموعة من أنماط الحياة التي يتمتع بها شعب معين، أي الإرث الاجتماعي الذي يحصل عليه الفرد من مجتمعه. كما يمكن اعتبار الثقافة الجزء الذي يخلقه الإنسان في بيئته، وهي التي تحدد أساليب الحياة. إنها تعكس طريقة التفكير والمشاعر والمعتقدات، وتعتبر معلومات الجماعة البشرية محفوظة في ذاكرة أفرادها أو في الكتب أو في مصادر أخرى.[33] المواد والأدوات[34]، ووفقًا لمعجم ويبستر الجديد الثالث، يُعرَّف مفهوم الثقافة (Culture)بما يلي:

1.فن الزراعة أو عملية الزراعة.
2.عملية التنمية الناتجة عن التعليم والنظم والخبرات الاجتماعية.
3.استنارة الذوق وتميزه في الممارسات الفكرية والجمالية، والتي تتجلى في:

أ. المحتوى الفني والفكري للمدنية.
ب. تنقية السلوك والذوق الفكري.
ج. التعرف على الفنون الجميلة والعلوم الإنسانية والمجالات الواسعة للمعرفة، وتقديرها كنوع من المهارة أو المعرفة الإدارية أو التقنية أو المهنية.
4. الإطار الجمالي للسلوك البشري ومنتجاته، والتي تشمل الفكر والكلام والعمل، وتعتمد على قدرة الإنسان على التعلم ونقل المعرفة إلى الأجيال اللاحقة من خلال استخدام الأدوات واللغة ونظم التفكير المجردة[35].

ويعرّف معجم المجمع الفرنسي، الذي تناول كلمة "Culture" ومفهومها في جلسة خاصة بتاريخ 29 يونيو 1972، بأنها تُستخدم بالمعنى المجرد العام كبديل لكلمة "طبيعة". فهي تمثل العبقرية الإنسانية المضافة إلى الطبيعة بهدف تحرير عطاءاتها وإثرائها وتنميتها.[36] ويعرفها مالينوفسكي بأنها جهاز فعال يمكن الإنسان من الانتقال إلى وضع أفضل يواكب المشاكل التي تواجه الإنسان في بيئته.[37] من خلال مجموعة التعريفات المتعلقة بمفهوم "الثقافة"، يمكننا استنتاج المحددات العامة لهذا المفهوم، حيث لا يمكننا الادعاء بأننا نعرف جميع التعريفات التي قدمها الفكر الغربي. فقد أشار كوبير وكلوكهون في عام 1952 إلى أكثر من 164 تعريفًا للثقافة، بدءًا من اعتبارها سلوكًا مكتسبًا، وصولًا إلى كونها أفكارًا في العقل، أو نمطًا منطقيًا، أو سردًا إحصائيًا، أو آلية للدفاع عن النفس، أو تجريدًا من السلوك، أو دينًا بديلاً يسهم في تحسين الحياة، أو طوباوية تعد بتحقيق الذات وتعزيز التفاهم بين الجماعات[38] ، إن محاولة حصر جميع

---

[32] زيادة، معن: المصدر السابق، ص ٣١٢.
[33] لنتون، رالف: الأصول الحضارية للشخصية، ترجمة عبد الحميد اللبان، ص 58-60،دار اليقظة العربية، بيروت، 1964.
[34] كلوكهون، كلايد: الإنسان في المرأة علاقة الأنثروبولوجي بالحياة المعاصرة، ترجمة شاكر مصطفى سليم،ص24- 49، المكتبة الأهلية، بغداد، 1964.
[35] خورشيد، ابراهيم: مفهوم الثقافة، ص 87،مجلة الفيصل،السعودية،،ع20، 1979.
[36] فريمون، جان: تلاقي الثقافات والعلاقات الدولية،ص85، مجلة الفكر العربي المعاصر،مركز الانماء القومي، العدد ٢٩،1984.
[37] فريمون،جان: المصدر نفسه،ص85.
[38] Kroeber, A. L., & Kluckhohn, C: (1952). Culture: a critical review of concepts and definitions. Papers. Peabody Museum of Archaeology & Ethnology, Harvard University, 47(1), viii, 223.

التعريفات المقدمة لهذا المفهوم تعد خارج نطاق هذا البحث، حيث يكفي أن نكون على دراية بالمدلولات الأساسية التي تحدد ماهيته وجوهره ومحتوياته. لقد أصبح هذا المفهوم متشعبًا في مختلف العلوم الاجتماعية، وأصبح عنصرًا أساسيًا فيها، وامتد تأثيره إلى ما وراء المجتمع الأوروبي مع انتشار هذه العلوم في مجتمعات متنوعة. بل إنه أصبح ركيزة أساسية في علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية، حيث تستند عليه افتراضات النظريات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها الأوروبية جميعها حيث تستقي منه مسلماتها وافتراضاتها حول تاريخ المجتمعات وتطورها وصورها السابقة والقوانين التي تحكمها، إذ إن الإنسان الغربي باعتماده النظرية النسبية والتشكيك الدنيوي الحاد في الثبات والرفض المطلق ظاهرا أو خفيا لوجود إله متحكم في هذا الكون يسيره وفق إرادته، كل ذلك جعل الإنسان الغربي يشعر دائما بالحاجة إلى قاعدة يبدأ منها التفكير حول ذاته، وسواء أكان هذا الإنسان تاكيتس أم هيغل أم كيركغارد أم ماركس أم الأنثروبولوجيين جميعهم، فإنهم دائما يبحثون عن نقطة ثبات مرجعية تقف عندها تطلعاتهم وتنطلق منها مقولاتهم،[39] لقد وجدت هذه النقطة في علم الأنثروبولوجيا، الذي يعتبر مفهومي الحضارة والثقافة جوهرًا أساسيًا لمقولاته وتحليلاته ونظرياته. من خلال هذه المفاهيم، يقدم الأنثروبولوجيون فرضيات رئيسية ومقولات أساسية تدعم معظم العلوم الاجتماعية الأوروبية المعاصرة، بالإضافة إلى العديد من النظريات الفلسفية الأساسية في الإطار المعرفي الأوروبي. يعتمد علم الأنثروبولوجيا على ثلاث قواعد أساسية تشكل أساس جهود مختلف العلماء، وتستند إليها رؤاهم وتحليلاتهم ومناهجهم، كما تتجلى في تفسيراتهم وتنبؤاتهم واستنتاجاتهم. هذه القواعد هي:

1. تتطور المجتمعات بشكل تصاعدي، بدءًا من الحالة البدائية التي عاشها الإنسان بعد انفصاله عن عالم الحيوان، وصولًا إلى المرحلة المتقدمة التي بلغها المجتمع الأوروبي المعاصر. بناءً على ذلك، يمكن تصنيف المجتمعات وفقًا لمعايير مستمدة من مفهوم الثقافة بمعناها العام، حيث تم وضع سلم تدريجي يسمح بتصنيف المجتمعات بناءً على مدى قربها أو بعدها عن الثقافة السائدة في المجتمع الأوروبي المعاصر. ومن هنا، ظهرت مفاهيم مثل اللحاق بالركب، تضييق الفجوة، والتحديث، وغيرها.[40]

2. تتكون الثقافة في مجتمع معين ثم تنتشر إلى مجتمعات أخرى، وهو ما يُعرف بالانتشار الثقافي، حيث تنتقل الثقافة من المجتمعات الأكثر تقدمًا إلى تلك الأقل تطورًا. وفي هذا السياق، ظهرت مفاهيم مثل "رسالة الرجل الأبيض"، والدور التحضيري لأوروبا، والثورات الثقافية.[41]

3. يشير مفهوم التثاقف أو المثاقفة إلى التأثير المتبادل بين الثقافات نتيجة للتواصل بينها، بغض النظر عن طبيعة هذا التواصل أو مدته، وقد عرّف كل من ميلفن هيرسكوفيتش ورالف لنتون وروبرت ردفيلد التثاقف بأنه التغيير الثقافي الذي يحدث عندما تتفاعل مجموعات من الأفراد من ثقافتين مختلفتين بشكل مباشر، مما يؤدي إلى تغييرات في الأنماط الثقافية السائدة في إحدى الجماعتين أو كليهما. كما عرّف رادكليف براون هذا المفهوم بأنه التغير في الحياة الاجتماعية نتيجة لتأثير أو هيمنة الغزاة الأوروبيين، خاصة في القارة الأفريقية. وقد ارتبط هذا الدور بالاستعمار الأوروبي، حيث أصبح وسيلة رئيسية للسيطرة على الشعوب غير الأوروبية، ومن المهم أيضًا التمييز بين التثاقف (Acculturation) والتبادل الثقافي (Transculturation)، حيث يشير الأخير إلى تبادل متساوٍ بين الثقافات، بينما يشير الأول إلى عملية نقل أو فرض ثقافة معينة.[42]

---

[39] مونتاغيو،آشلي: البدائية، ترجمة محمد عصفور،ص332-333 سلسلة عالم المعرفة،الكويت، العدد ٥٣، ١٩٨٢ .

[40] مونتاغيو،آشلي: المصدر السابق، ص ١٥٥ ،عارف، نصر محمد : التنمية السياسية المعاصرة، ص81- 82، المعهد العالمي للفكر الاسلامي،سلسلة الرسائل الجامعية(6)دار القارئ العربي، القاهرة- مصر،1981.

[41] Linton, Ralph, The Study of Man: An Introduction, New York: D. Appletine Century Company, (1936) 324-345.

[42] فهيم، حسين : قصة الأنثروبولوجيا : فصول في تاريخ علم الإنسان،ص198-203،سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ٩٨،1982، لكلرك،جيرار : الأنثروبولوجيا والاستعمار، ترجمة جورج كتورة،ص78-85، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٢.

المدنية: مفهوم المدنية لغةً: تشير إلى الحضارة وتطور العمران .
وأما مفهوم المدنية اصطلاحًا: فهي تُعتبر مرادفًا للحضارة، حيث تشمل الجوانب المادية والمعنوية لها. ترتبط المدنية بالمدينة، إذ تُعتبر إحدى مظاهرها هي رقة المعاملة.[43]، ورقة المعاملة تمثل نوعًا من السلوك المهذب الذي يُعبر عنه برأي سكان المدن حول رقة المعاملة. في المدينة، سواء كان ذلك صحيحًا أو غير صحيح، نجد ما ينتجه الريف من ثروات ونوابغ العقول. كما أن الاختراعات والصناعات تسهم في زيادة وسائل الراحة والرفاهية. في المدينة، يلتقي التجار لتبادل السلع والأفكار، حيث تتقاطع طرق التجارة وتلتقي العقول، مما يعزز الذكاء ويحفز الإبداع. كما أن هناك فئة من الناس في المدينة لا تُطلب منها صناعة الأشياء المادية، بل تركز على إنتاج العلم والفلسفة والأدب والفن. صحيح أن المدنية تبدأ من كوخ الفلاح، لكنها لا تزدهر إلا في المدن. وقد شاع استخدام المصطلح المشتق من كلمة "مدينة" منذ الحضارات اليونانية، مع تنوع معانيه وفقًا للمنطلقات الفكرية لكل فلسفة[44].

- المدنية بمعنى الحضارة و العمران و العيش في المدن،[45] وفي إشارة إلى التباين بين البداوة والتخلف، وكذلك حالة عدم العمران التي كانت تعاني منها المجتمعات البدائية.

- المدنية في مقابل العسكرية: حيث تم التمييز بين الخدمة في إطار المؤسسة العسكرية والمؤسسة المدنية بناءً على الاختلاف الجذري في قواعد العمل في كليهما.

- المدنية في مقابل الدينية: بغية التفريق بين السلطة الزمنية الوضعية والسلطة الدينية الثيوقراطية،[46] يمكننا تطبيق هذا المفهوم على الاصطلاح الحديث للعلمانية.

تُعتبر المدنيّة الجانب المادي لأي حضارة، مثل العمران والترفيه ووسائل الاتصال، وقد نشأت المدنيّة نتيجة التفاعل بين العلوم وتطبيقاتها من جهة، وما أنتجته الأمة من جهة أخرى، وهذا ما جعلها ترتبط بالمجالات الاقتصادية والصناعية. يرى البعض أن المدنيّة تعادل الحضارة، حيث تشمل الجوانب المادية والمعنوية لها، ويعتبرونها تجسيدًا للرقي في الصناعة والزراعة داخل المجتمع. المدنيّة هي جزء من الحضارة، ولا تحتاج إلى شرح مفصل كما هو الحال مع الحضارة والثقافة. ومع ذلك، يمكننا القول إن المدنيّة تمثل تراكم الإنجازات الإنسانية المادية لمجتمع معين خلال فترة زمنية محددة، وتهدف هذه الإنجازات إلى تسهيل حياة الإنسان ضمن العقيدة السائدة في مجتمعه[47].

حيث لا تقتصر المدنية على جنس معين، بل يمكن أن تظهر في قارات مختلفة أو تنشأ من ألوان بشرة متنوعة. قد تتطور المدنية في بكين أو دلهي، في ممفيس أو بابل أو لندن، فليس الجنس هو الذي يصنع المدنية، بل المدنية هي التي تشكل الشعب. فالعوامل الجغرافية والاقتصادية تساهم في تشكيل الثقافة، والثقافة بدورها تحدد النمط الذي يتبعه المجتمع فالمدنية البريطانية ليست نتاج الرجل الإنجليزي، بل هو نتاجها، وعندما تراه يحملها معه أينما ذهب، حتى في "تمبكتو"، فهذا لا يعني أنه يخلق مدنيته من جديد هناك، بل يدل على تأثيرها العميق عليه حتى في الأماكن النائية، وإذا توفرت نفس الظروف المادية لجنس بشري آخر، فإن النتائج ستكون مشابهة.كما أن اليابان في القرن العشرين تعيد كتابة تاريخ إنجلترا في القرن التاسع عشر، وبالتالي فإن المدنية ليست مرتبطة بجنس معين، بل تأتي عادة بعد مرحلة من التزاوج

---

43 كلمتيّ **Civilisatiou** ومعناها المدنية، وكلمة **Civility** ومعناها رقم المعاملة. **ديورانت**،ول وايريل : قصة الحضارة،ترجمة زكي نجيب، ج1، مج1،ص5، دار الجيل، بيروت، 2010،

44 ديورانت: المصدر نفسه، ص5.

45 السلفي، أبو فهر : الدولة المدنية مفاهيم وأحكام،ص23، دار عالم النوادر والعصرية للنشر و التوزيع، القاهرة، 2011.

46 العطار، فؤاد : الوجيز في النظم السياسية والقانون الدستوري، دار النهضة العربية، القاهرة،د.ت. ص125.

47 السيد، عزمي طه، واخرون: الثقافة الإسلامية،ص51،جامعة القدس المفتوحة، عمان – الأردن،ط 4، 2008.

البطيء الذي يؤدي تدريجياً إلى تكوين شعب متجانس نسبياً من مختلف العناصر نعم، تبدأ المدنية في كوخ الفلاح، لكنها لا تزدهر إلا في المدن[48].

المبحث الثاني

نشوء الحضارة وتطورها

الحضارة هي نظام اجتماعي يساعد الإنسان على تعزيز إنتاجه الثقافي، وتتكون من أربعة عناصر رئيسية: الموارد الاقتصادية، النظم السياسية، التقاليد الأخلاقية، ومتابعة العلوم والفنون. تبدأ الحضارة عندما ينتهي الاضطراب والقلق، حيث أن شعور الإنسان بالأمان يحرر فيه دوافع الطموح وعوامل الإبداع. ومن ثم، تستمر الحوافز الطبيعية في دفعه نحو فهم الحياة وتطويرها. إن الحضارة تعتمد على مجموعة من العوامل التي إما تدفعها للأمام أو تعيق تقدمها.

أولاً: العوامل الجيولوجية: تعتبر الحضارة مرحلة تتوسط بين عصرين من الجليد، حيث يمكن أن يعود تيار الجليد في أي لحظة ليغمر الأرض مرة أخرى، مما يؤدي إلى طمس منشآت الإنسان تحت كتل من الثلوج والأحجار، ويقيد الحياة في مساحة ضيقة من سطح الأرض. كما أن زلازل الأرض، التي قد تهاجم مدننا في غفلة منا، قد تتحرك بشكل طفيف لتبتلعنا في أعماقها دون أي اهتمام[49].

ثانيًا: العوامل الجغرافية: إن حرارة المناطق الاستوائية وما تعانيه من طفيليات لا يمكن حصرها، لا توفر الظروف الملائمة لتطور الحضارة. فالأمراض والخمول السائد في تلك المناطق، بالإضافة إلى النضوج والانحلال المبكر، تؤدي إلى صرف الجهود بعيدًا عن متطلبات الحياة المدنية الأساسية، مما يستنفد الموارد في تلبية الحاجات الأساسية مثل الجوع والتكاثر، ويترك للإنسان القليل من الطاقة للانخراط في الفنون والتفكير الإبداعي. كما أن المطر يعد عاملًا حيويًا، إذ أن الماء هو أساس الحياة، وقد يكون أهم من ضوء الشمس في بعض الأحيان. ومع تقلبات الطقس غير المفهومة، قد تعاني مناطق كانت مزدهرة في الماضي، مثل نينوى وبابل، من الجفاف. وفي المقابل، قد تنمو مدن جديدة نحو القوة والثراء، حتى وإن بدت بعيدة عن طرق النقل الرئيسية، كما هو الحال في بعض مدن بريطانيا العظمى أو خليج بيوجيت. وإذا كانت تربة المنطقة غنية بالموارد الغذائية أو المعدنية، فإن ذلك قد يسهم في تحسين الظروف المعيشية، وإذا كانت أنهاره تهيئ له طريقاً نهينة للتبادل مع غيره، وإذا كان شاطئه مليئاً بالمواضع التى تصلح مرافىء طبيعية لأسطوله التجاري، ثم إذا كانت الأمة فوق هذا كله تقع على الطريق الرئيسية للتجارة العالمية، كما كانت حال أثينا وقرطاجنة وفلورنسة والبندقية إذن فالعوامل الجغرافية على الرغم من أنها يستحيل أن تخلق المدنية خلقا، إلا أنها تستطيع أن تبتسم في وجهها، وتهيئ سبيل ازدهارها.[50]

ثالثاً: العوامل الاقتصادية: قد يمتلك شعب ما مؤسسات اجتماعية منظمة وتشريعات متقدمة، وقد تزدهر فيه الفنون الصغيرة كما هو الحال مع الهنود الأمريكيين. ومع ذلك، إذا ظل هذا الشعب في مرحلة الصيد البدائية واعتمد على ما يمكن أن يصادفه من قنائص، فإنه من المستحيل أن يتحول من الهمجية إلى المدنية بشكل كامل. قد تكون قبيلة البدو، مثل بدو بلاد العرب، تتمتع بذكاء نادر وخصال نبيلة مثل الشجاعة والكرم، لكن هذا الذكاء، دون الحد الأدنى من الثقافة والموارد المستدامة للغذاء، سيُستنفد في مخاطر الصيد ومتطلبات التجارة، مما يمنعها من الاستفادة من مزايا المدنية وفنونها ورفاهيتها، وتظهر الثقافة في أولى صورها من خلال الزراعة، حيث لا يجد الإنسان مبرراً لتمدنه إلا إذا استقر في مكان يمكنه من زراعة الأرض وتخزين الغذاء. في هذه البيئة المحدودة من الأمان، حيث تتوفر الموارد من الماء والطعام، يبدأ الإنسان في بناء المنازل والمعابد والمدارس، ويخترع الآلات التي تساعده على الإنتاج، ويستأنس الحيوانات مثل الكلب والحمار والخنزير، وفي النهاية، يحقق السيطرة على نفسه فيتعلم كيف يعمل في نظام واطراد، ويحتفظ بحياته أمداً أطول ويزداد قدرة على نقل تراث الإنسانية من علم وأخلاق نقلا أميناً، فتراهم

---

[48] ديورانت:المصدر السابق، ص 5.

[49] ديورانت: المصدر السابق، ص5.

[50]ديورانت: المصدر نفسه، ص6.

يتوفرون على إنتاج العلم والفلسفة والأدب والفن. لا يتوقف نشوء الحضارة على جنس دون جنس، فقد تظهر في هذه القارة أو تلك، يمكن أن تنشأ حضارات في أماكن مختلفة مثل بكين أو دلهي، ممفيس أو بابل أو لندن، أو حتى في بيرو ، بغض النظر عن لون البشرة. فليس الجنس هو العامل الرئيسي في صنع الحضارة، بل الحضارة هي التي تشكل الشعوب. إذ تلعب الظروف الجغرافية والاقتصادية دورًا في تشكيل الثقافة، والتي بدورها تحدد الأنماط السلوكية. الحضارة العربية ليست نتاجًا للرجل العربي بحد ذاته، بل هو نتاجها. فعندما ترى العربي يحمل حضارته معه أينما ذهب، ويرتدي ملابس معينة في "الغرب"، فهذا لا يعني أنه يخلق حضارة جديدة هناك، بل يدل على تأثير حضارته عليه حتى في الأماكن البعيدة. وإذا توفرت نفس الظروف المادية لجنس بشري آخر، فإن النتائج ستكون مشابهة. كما أن اليابان في القرن العشرين تعيد تجربة إنجلترا في القرن التاسع عشر. وبالتالي، فإن العلاقة بين الحضارة والجنس تقتصر على كون الحضارة تظهر عادة بعد فترة من التزاوج البطيء بين مختلف العناصر، مما يؤدي تدريجياً إلى تكوين شعب متجانس نسبياً[51].

وتعتبر العوامل المادية والبيولوجية شروطًا أساسية لنشوء الحضارة، ولكن هذه العوامل وحدها لا تكفي لتشكيل مجتمع مدني أو لإحداثه من العدم فمن الضروري أن تُضاف إليها عوامل نفسية دقيقة، حيث يجب أن يسود بين الناس نظام سياسي، حتى وإن كان ضعيفًا إلى حد يقترب من الفوضى، كما كان الحال في فلورنسا وروما خلال عصر النهضة. علاوة على ذلك، ينبغي أن يشعر الناس تدريجيًا بعدم الحاجة إلى توقع الموت أو دفع الضرائب في كل منعطف من حياتهم كما يتطلب الأمر وجود نظام ينظم العلاقات الاجتماعية، ويجب أن تتوفر لغة مشتركة إلى حد ما لتسهيل تبادل الأفكار. ومن الضروري أيضًا وجود قانون أخلاقي يربط بين الأفراد، سواء من خلال الكنيسة أو الأسرة أو المدرسة، مما يخلق قاعدة في لعبة الحياة يحترمها الجميع، حتى أولئك الذين يخرجون عن المألوف، حيث يكون لديهم هدف ودافع، وقد يكون من الضروري أيضًا أن يتفق الناس على بعض العقائد الأساسية وأن يؤمنوا بما يتجاوز الطبيعة أو بما يمثل المثل الأعلى المنشود، لأن ذلك يرفع من مستوى الأخلاق من حالة التوازن بين نفع العمل وضرره إلى مرحلة الإخلاص في العمل ذاته، مما يجعل حياتنا أكثر شرفًا وثراءً[52].

في النهاية، من الضروري أن نعمل على تربية الأجيال الجديدة، مهما كانت الوسائل المستخدمة بدائية، لضمان انتقال الثقافة عبر الأجيال. يجب علينا أن نغرس في الناشئة تراث القبيلة وروحها، وننقل إليهم فوائدها ومعارفها وأخلاقها وتقاليدها وعلومها وفنونها، سواء كان ذلك من خلال التقليد أو التعليم أو التلقين. ولا يهم من يكون المربي، سواء كان الأب أو الأم أو المعلم أو القسيس، لأن هذا التراث هو الأداة الأساسية التي تحول النشء من مرحلة الحيوان إلى مرحلة الإنسان. وإذا غابت هذه العوامل، أو حتى إذا غاب أحدها، فقد يتعرض أساس الحضارة للانهيار. فقد يؤدي انقلاب جيولوجي خطير، أو تغير مناخي شديد، أو وباء خارج عن السيطرة مثل الذي قضى على نصف سكان الإمبراطورية الرومانية في زمن الأناطنة، أو الموت الأسود الذي ساهم في زوال العهد الإقطاعي، أو تدهور خصوبة الأرض، أو تراجع الزراعة بسبب هيمنة المدن على الريف، إلى عواقب وخيمة، ينتهي الأمر إلى اعتماد الناس في تأمين احتياجاتهم الغذائية على ما يصل إليهم بشكل متقطع من دول أخرى، أو استنزاف الموارد الطبيعية مثل الوقود والمواد الخام، أو حدوث تغييرات في طرق التجارة تؤدي إلى ابتعاد أمة ما عن المسارات الرئيسية للتجارة العالمية. كما يمكن أن ينجم عن تدهور عقلي أو أخلاقي نتيجة الحياة في المدن، بما تحمله من ضغوط وإغراءات وتفاعلات اجتماعية، أو نتيجة انهيار الأسس التقليدية التي كان يقوم عليها النظام الاجتماعي، مما يؤدي إلى عدم القدرة على استبدالها بأسس جديدة. بالإضافة إلى ذلك، قد تتعرض قوة الأجيال للضعف بسبب الاضطرابات في الحياة الجنسية أو بسبب الفلسفات المتشائمة التي تدعو إلى ازدراء الكفاح. كما أن ضعف القيادة نتيجة العقم الذي يصيب الأفراد الأكفاء، وقلة عدد الأسر التي كانت قادرة على نقل التراث الفكري

[51] ديورانت:المصدر السابق، ص5.
[52] ديورانت: المصدر نفسه، ص6.

للجماعة بشكل كامل، قد يسهم في تفاقم الوضع، وأخيراً، فإن تركز الثروة بشكل مقلق قد يؤدي إلى نشوب صراعات طبقية وثورات مدمرة وإفلاس مالي[53].

وتوجد عدة عوامل قد تؤدي إلى زوال المدنية، فليس من الطبيعي أن تكون المدنية جزءًا من فطرة الإنسان، ولا هي شيء محصن ضد الفناء. بل هي شيء يجب أن يكتسبه كل جيل بشكل جديد. وعندما يحدث اضطراب كبير في العوامل الاقتصادية أو في طرق انتقال المدنية من جيل إلى آخر، قد يؤدي ذلك إلى زوالها يختلف الإنسان عن الحيوان في جانب واحد، وهو التربية، التي تمثل الوسيلة التي تنتقل بها المدنية عبر الأجيال المدنيات المتنوعة تشبه الأجيال في النفس الإنسانية، حيث ترتبط الأجيال المتعاقبة بفضل الأسرة التي تربي أبناءها، وكذلك بفضل الكتابة التي تنقل تراث الآباء إلى الأبناء. كما أن الطباعة والتجارة والعديد من الوسائل الأخرى التي تربط بين الناس تسهم في تعزيز الروابط بين المدنيات، مما يحافظ على العناصر القيمة من حضارتنا للأجيال القادمة. لذا، يجب علينا أن نجمع تراثنا وننقله إلى أبنائنا قبل أن يحل بنا الموت[54].

ويُعرَّف مصطلح الحضارة بأنه مجموعة من الخصائص الثقافية التي تميز مجتمعًا عن غيره. تشمل هذه الخصائص الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية، وظهرت الحضارة الإنسانية في مناطق محددة من العالم، مثل بلاد الرافدين ومصر القديمة والصين والهند. وقد تميزت هذه الحضارات المبكرة بتقدمها في مجالات متنوعة، مثل الزراعة والصناعة والتجارة والعلوم والفنون[55].

و هناك العديد من العوامل التي أسهمت في ظهور الحضارة، ومن أبرزها:

1- الموارد الطبيعية: تحتاج الحضارة إلى موارد طبيعية كافية لدعم الحياة، مثل الماء والغذاء والمعادن.
2- النمو السكاني: يؤدي زيادة عدد السكان إلى زيادة الطلب على الموارد، مما يستدعي تطوير أنظمة أكثر تعقيدًا لتنظيم المجتمع.
3- تغير المناخ: أدت التغيرات المناخية في بعض المناطق إلى دفع الناس للاستقرار في أماكن جديدة وتطوير تقنيات جديدة للبقاء.
4- التواصل الثقافي: ساهم التفاعل بين الحضارات المختلفة في تبادل الأفكار والتقنيات والثقافات، مما ساعد على تقدم الحضارات.[56].

وعند استعراض التعريفات المقدمة للحضارة، نجد أنها تتطابق مع التعريفات المتعلقة بالمدنية، لذا فإن الاختلاف هنا هو اختلاف لفظي فقط بينما يبقى المحتوى والمضمون متشابهان، حيث يتوافق مفهوم الحضارة مع مضمون المفهوم الأوروبي "Civilization"، وقد ارتبط مفهوم الحضارة في كثير من الأحيان بالوسائل التكنولوجية الحديثة، مثل اعتبار وسائل النقل جزءًا من الحضارة.،[57] لأن الحضارة هي مادة محسوسة في آلة تخترع وبناء يقام ونظام حكومة محسوس يمارس ودين له شعائر ومناسك وعادات مؤسسات. فالحضارة مادية،[58] أو ارتبط بالعلوم والمعارف والفنون الحديثة والأنظمة السائدة في أوروبا، أي خلاصة التطور الأوروبي الحالي.

وقد برز هذا المفهوم في كتابات الدكتور محمد حسين هيكل، الذي قدم رؤية شمولية للحضارة، حيث اعتبر أن الحضارة العالمية واحدة، وهي تلك التي نشأت في أوروبا في القرن العشرين، معتبرًا إياها نتاجًا لتطور

---

53 ديورانت، ول: المصدر السابق،ص5.
54 ديورانت: المصدر نفسه، ص6-7.
55 غنيم، محمد عبد العزيز : الحضارة الإنسانية دراسة في النشوء والتطور ، دار المعارف، ص15،القاهرة، 2007.
56 العيسوي، عبد الرحمن: الحضارة الإنسانية: تطورها وخصائصها،ص19، دار الفكر العربي، القاهرة، 2003.
57 غليون،برهان : اغتيال العقل : محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية،ص124-125، ط4،الدار البيضاء-المغرب،2006.
58 موسى،سلامة: الثقافة والحضارة، ص171،مجلة الهلال،القاهرة-مصر،ع1927،2.

البشرية ومنطقيتها، ويشير هيكل إلى أنه من الظلم تحديد الحضارة بزمان أو مكان معين، فهي ليست نتاج عصر أو قرن محدد، بل إن العصور المختلفة والقرون المتعاقبة قد تضافرت لبناء صرح الحضارة. ولا يمكن لأي أمة أن تدعي احتكار الحضارة العالمية لنفسها، إذ ساهمت جميع الأمم في رفع هذا الصرح، كلٌ بحسب نصيبه. وبناءً على هذا المفهوم، يصبح من الصعب تصنيف الحضارة إلى شرقية وغربية. وهنا يطرح السؤال: ما هو الشرق وما هو الغرب؟ إنهما مجرد تسميتين لا تعكسان واقعًا ملموسًا، بل هما رمزان لشيئين لا وجود لهما إلا في عالم الافتراض، والخيال، دون أن يكون لهما نصيب من الواقع، ولنؤمن بأننا كنا ضحية لوهم خدعنا لسنوات طويلة، وأنه حان الوقت للتحرر من هذا الوهم ليتصافح الشرق والغرب، وينطلقا معًا نحو أداء الرسالة المقدسة تجاه الحضارة العالمية، التي لا تعرف حدودًا بين الشرق والغرب. إن المدنية الأوروبية الحالية ليست ملكًا لأوروبا فقط، بل هي ملك مشترك للعالم بأسره، حيث ساهمت جميع الشعوب في بنائها بشكل مباشر أو غير مباشر. إن الحضارة هي تراث عالمي لا يمكن تقسيمه إلى أجزاء منفصلة، فلا وجود لحضارة شرقية أو غربية، بل هناك حضارة عالمية واحدة يجب علينا الإيمان بها والولاء لها[59]، استندت معظم الكتابات في مصر والعالم العربي إلى هذا الفهم للحضارة، حيث انطلقت بعض هذه الكتابات من إطار مرجعي غير إسلامي أو إسلامي، وقد تناولت الحضارة العالمية من زوايا مختلفة، فبعضها دعا إلى نقل جميع قيمها والاندماج الكامل فيها، كما فعل طه حسين، بينما تحدث آخرون عن إسهامات المسلمين في تطور العالم الغربي، وهو ما يبرز في كتابات العديد من المسلمين المعاصرين حول التقدم الإنساني[60].

ومن جهة أخرى، اعتمدت المعاجم والقواميس التي صدرت في النصف الثاني من القرن العشرين على ترجمة كلمة "Civilization" إلى "حضارة"، مع تضمين التعريفات والدلالات والأبعاد المرتبطة بمفهوم الحضارة. وقد اتفقت هذه المعاجم على أن الحضارة تعبر عن مجموعة من الظواهر الاجتماعية التي تتميز بالطابع المادي والعلمي والفني والتقني الموجودة في المجتمعتُعتبر هذه المعاجم تجسيدًا للمرحلة المتقدمة، مع الإشارة إلى أن بعضها يذكر الأصل العربي للكلمة واشتقاقها من "حضر"، التي تعني الإقامة في المدن، على عكس "البادية". ثم تنتقل هذه المعاجم إلى المعنى الحديث للكلمة، والذي يشير إلى مظاهر التقدم المادي والتقني والفني والعلمي، وغيرها. وكأن الإشارة إلى المعنى العربي القديم تُعتبر من الضرورات العلمية أو سببًا لانتشار الأفكار، أو مصدرًا لشرعية المعاني الجديدة، أو كوسيلة لإبراء الذمة[61].

وعند استعراض تطور المفهوم في الكتابات العربية المتعلقة بالعلوم الاجتماعية، يتبين أنها لم تبتعد عن الدلالات التي تطور بها المفهوم في أوروبا، بل عكستها بدقة، وعلى سبيل المثال عندما يتم الحديث عن الحضارة أو المدنية العالمية التي تستند إلى مفهوم الإنسانية الواحدة، والذي يعني في جوهره هيمنة القيم الأوروبية، ومن هنا يظهر بشكل منطقي مفهوم عالمية العلم وعالمية المنهج وعالمية المفاهيم. فالعلوم واحدة ولا يمكن أن تختلف من مجتمع لآخر، كما أن المنهج والمفاهيم موحدة. ذلك لأن الحضارة والمدنية عالميتان، ولا يوجد تعدد حضاري أو خصوصية بل هناك علم واحد ولا علم، ومنهج واحد ولا منهج. وكل ما يتماشى مع الرؤية المعرفية الأوروبية يُعتبر علمًا ومنهجًا، بينما يُعتبر كل ما يخالف ذلك أسطورة أو دينًا أو فولكلورًا، تمامًا كما توجد حضارة واحدة وبدائيات وحشية متعددة،انتشرت أيضًا المفاهيم التي نشأت من مفهوم المدنية في مرحلته الأخيرة، حيث تُظهر المدنية كعكس للدينية. على سبيل المثال، نجد القانون المدني والمجتمع المدني في مقابل المجتمع الديني أو العسكري أو السياسي، بالإضافة إلى الثقافة المدنية التي تختلف عن الثقافة الدينية التقليدية، وكذلك المؤسسات المدنية والتعليم المدني الذي يقابل التعليم الديني أو الأزهري. وقبل الانتقال من هذه النقطة، يجب الإشارة إلى ملاحظة مهمة، وهي الفرق بين "الحضارة" و"المدنية"، حيث تم ترجمة (Culture) إلى ثقافة، بينما تم ترجمة (Civilization) إلى حضارة[62]، من

---

59 هيكل، محمد حسيين : الحضارة بين الشرق والغرب، جريدة السياسة الاسبوعية، ملاحق عام 1932.

60 صليبا،جميل : المعجم الفلسفي،ج1، ص475-477،دار الكتاب اللبناني،بيروت-لبنان،1982.

61 صليبا، جميل: المصدر نفسه، ص ٤٠ .

62 الجابري، محمد عابد: مفهوم الحضارة في الفكر العربي،ص5، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1985.

قام بترجمة كلمة (Culture) إلى "حضارة" قام بترجمة كلمة (Civilization) إلى "مدنية". وفي كلتا الحالتين، يظهر اختلاف واضح في تعريف المفهوم العربي، مما يعكس الارتباك في الفكر العربي عند التعامل مع مفهومي (Culture) و (Civilization)، وقد تم تقديم ثلاثة مصطلحات عربية للمفهومين الأوروبيين، حيث تشير الثقافة في الحالة الأولى إلى الجانب الفكري من الحياة الإنسانية، بينما تعبر الحضارة عن[63] الجانب المادي للحضارة. وفي الحالة الثانية، تُعتبر الحضارة الجانب الفكري، بينما تُعتبر المدنية الجانب المادي. وقد أدى هذا الافتقار إلى الضبط إلى حدوث ارتباك، خاصة أن معظم الكتاب لا يذكرون المقابل الأوروبي للمصطلحات المستخدمة، على الرغم من أن المعنى الأوروبي هو ما يتواجد في أذهانهم ويتدفق من أقلامهم. مثال جيد على ذلك هو ما قام به الدكتور معن زيادة في موسوعته، حيث أنه رغم حديثه عن الحضارة وذكره لمصطلح (Civilization) بجميع اللغات الأوروبية، إلا أن معظم مراجعته كانت تتعلق بمادة (Culture) في المعاجم الأوروبية[64].

المبحث الثالث

تطور الحضارة

ظهرت الحضارات الأولى بالقرب من الأنهار الرئيسية، حيث كانت السهول الفيضية تحتوي على تربة غنية، وكانت الأنهار توفر الري للمحاصيل ووسائل النقل. قامت الحضارات التأسيسية بتطوير التحضر والتعقيد بشكل مستقل، دون الاعتماد على تأثيرات خارجية أو على أنقاض حضارات سابقة، رغم أنها لم تتطور جميعها في نفس الوقت. العديد من الحضارات اللاحقة استلهمت عناصر من حضارات أخرى أو بنيت عليها أو دمجتها من خلال الغزو. وبما أن الحضارات التأسيسية نشأت بشكل مستقل، فإنها تمثل أهمية خاصة للمؤرخين وعلماء الآثار الذين يسعون لفهم كيفية نشوء الحضارة لأول مرة. لا يمكن للجغرافيا وحدها تفسير ظهور الحضارات الأولى، إذ كانت عملية التطوير الزراعي قائمة قبل نشوء هذه الحضارات. من المهم أن نلاحظ أنه رغم أهمية التطوير الزراعي للحضارة، فإن وجوده في منطقة معينة لم يكن كافياً لضمان تطور الحضارة، ولكن مع تقدم الحضارات، أصبح تطوير الزراعة ضرورياً لاستمرارها[65].

وكانت المدن مركزًا رئيسيًا لكل الحضارات القديمة فقد توجه الناس من المناطق المجاورة إلى المدن للعيش والعمل والتجارة. ونتيجة لذلك، تجمع عدد كبير من الأفراد الذين لا يعرفون بعضهم البعض في هذه المدن وتفاعلوا معًا، وبالتالي ساهمت المؤسسات المشتركة مثل الحكومة، والدين، واللغة في تعزيز شعور الوحدة بينهم، كما أدت إلى ظهور أدوار أكثر تخصصًا مثل البيروقراطيين والكهنة والكتب[66]، وركزت المدن على المؤسسات السياسية والدينية والاجتماعية التي كانت موجودة في السابق في العديد من المجتمعات الصغيرة المستقلة، مما ساعد في تطور الدول.

الدولة:

تُعتبر مجتمعًا منظمًا يعمل تحت هيكل سياسي موحد، وتُعد الدولة الحالية مثالًا على ذلك العديد من الحضارات إما نشأت بجوار دولة أو شملت عدة دول. لقد كانت الهياكل السياسية التي وفرتها الدول عنصرًا أساسيًا في نشوء الحضارات، حيث ساهمت في تجميع كميات كبيرة من الموارد والعمالة، كما أنها ربطت مجتمعات أكبر من خلال توحيدها تحت نظام سياسي مشترك.

الدين:

---

[63] امين، احمد: مفهوم الحضارة في الفكر العربي،ص27، عن دار المعارف، ط2، 1968.

[64] بدوي، عبد الرحمن: مفهوم الحضارة ، ص196، دار النهضة العربية، ط1، 1979.

[65] Christian, David: Maps of Time: An Introduction to Big History ،University of California Press, 2011.

[66] Christian, D: Maps of Time: An Introduction to Big History .

كان الدين غالبًا ما يجمع بين الحضارات القديمة، حيث يمثل نظامًا من المعتقدات والسلوكيات التي تتناول معنى الوجود، ومع تزايد عدد الأفراد الذين يتبنون نفس المعتقدات والممارسات، أصبح بإمكان الأشخاص الذين لا يعرفون بعضهم البعض إيجاد قواسم مشتركة وبناء الثقة والاحترام المتبادل. كانت العلاقة بين السياسة والدين قوية في كثير من الأحيان، حيث تولى بعض الزعماء السياسيين أيضًا أدوارًا دينية. وفي حالات أخرى، كان هناك انفصال بين الزعماء الدينيين والحكام السياسيين، لكنهم استمروا في دعم وتبرير سلطة الحكام على سبيل المثال في بلاد الرافدين، كان السومريون ومن تبعهم يعبدون قوى الطبيعة، وتنوعت آلهتهم. وقد تأسس الحكم على أسس دينية، حيث أطلق على الملوك لقب نواب الإله على الأرض[67]، وفي مصر القديمة، مارس الملوك الذين عُرفوا لاحقًا بالفراعنة، الملكية الإلهية، مدعين أنهم ممثلون أو تجسيدات للآلهة. ساهمت كل من المؤسسات السياسية والدينية في إنشاء وتعزيز التسلسلات الهرمية الاجتماعية، مما أظهر تمييزًا واضحًا في المكانة بين الأفراد والمجموعات المختلفة. كان بإمكان القادة السياسيين اتخاذ قرارات تؤثر على مجتمعات بأكملها، مثل إعلان الحرب، بينما اكتسب الزعماء الدينيون مكانة خاصة لكونهم الوسيط الوحيد بين المجتمع وآلهته،[68]وإلى جانب هؤلاء القادة، كان هناك أيضًا الحرفيون الذين يقدمون السلع والخدمات، والتجار الذين يتاجرون بهذه السلع. كما وُجدت طبقات دنيا من العمال الذين قاموا بأعمال أقل تخصصًا، وفي بعض الحالات كان هناك عبيد كل هذه الطبقات ساهمت في تعقيد المدينة وتعزيز إنتاجها الاقتصادي[69].

الكتابة

لقد ظهرت الكتابة في العديد من الحضارات القديمة كوسيلة للحفاظ على السجلات وإدارة المؤسسات المعقدة بشكل أكثر فعالية. استخدمت الكتابة المسمارية في بلاد ما بين النهرين[70] في البداية لتتبع التبادلات الاقتصادية. كما أن النقوش العظمية في الصين القديمة كانت مرتبطة بمحاولات التنبؤ بالمستقبل، وقد تحمل دلالات روحية في جميع المناطق التي تطورت فيها الكتابة، بغض النظر عن شكلها أو غرضها، كانت معرفة القراءة والكتابة محصورة في فئات صغيرة من النخب المتعلمة، مثل الكتبة والكهنة. وقدمت الكتابة أيضًا طرقًا جديدة للحفاظ على القانون والنظام، وكانت أولى القوانين المكتوبة، مثل شريعة أور نامو التي كتبت حوالي 2100 إلى 2050 قبل الميلاد، وشريعة حمورابي التي كتبت حوالي 1760 قبل الميلاد[71]، تمثل خطوة مهمة نحو تحقيق الاتساق في النظام القانوني قد لا يبدو هذا التحول نحو توثيق المعلومات تطورًا كبيرًا خاصة وأن معظم الناس لم يكونوا قادرين على القراءة أو الكتابة، ومع ذلك، فإن وجود سجلات وقوانين وأدبيات كان له تأثير عميق على المجتمع.

الهندسة العمارية

تُعتبر الهندسة المعمارية الضخمة من السمات البارزة للعديد من الحضارات، حيث تُبنى غالبًا لأغراض سياسية أو دينية أو لخدمة المصلحة العامة. على سبيل المثال، كانت أهرامات مصر تُعتبر آثارًا تخلد ذكرى الحكام الراحلين، بينما كانت الزقورات في بلاد ما بين النهرين[72]. كما ساهمت الجدران الدفاعية وأنظمة الصرف الصحي في توفير الحماية، ورغم وجود بعض الأمثلة على الهندسة المعمارية الضخمة في

---

[67] ابو خليل، شوقي : الحضارة العربية الاسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، ص137، ط2، دار الفكر، لبنان، 2002، الحبابي، نوره مسعود: خصائص الحضارات القديمة واثر الدين والفلسفة في تلك الحضارات، بحث منشور ، مجلة الجامعة الاسلامية بغزة، ع30، ص 593-2022،613.

[68] Fernández-Armesto, Felipe: Millennium: A History of the Last Thousand Years (Free Press, 1996) p.78.

[69] Spodek, Howard: The World's History (New Jersey, Pearson, 2006) p.46-47.

[70] اسماعيل ، حلمي محروس: الشرق العربي القديم وحضارته، بلاد مابين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة، ص 114، دمشق، 1997.

[71] رشيد، فوزي: الشرائع العراقية القديمة، ص13-142، دار الحرية للطباعة، مطبعة الجمهورية، بغداد،1973.

[72] خميس، زينب عبد التواب رياض: نشاة وتطور المعابد في بلاد الرافدين خلال عصور ماقبل التاريخ، ص293، بحث منشور ، مجلة التراث،ع32، مج 9،اسوان،2019.

مجتمعات ما قبل الزراعة، إلا أن التنظيم والموارد الأكبر التي ظهرت مع الحضارات جعلت من بناء الهياكل الكبيرة أمرًا أكثر سهولة.

الخصائص المشتركة للحضارات القديمة

تشارك العديد من الحضارات القديمة في سمات متشابهة[73] نشأت معظم هذه الحضارات من مجتمعات زراعية قادرة على إنتاج ما يكفي من الغذاء لدعم الحياة في المدن .
عززت هذه المدن التسلسل الهرمي الاجتماعي الذي يعتمد على الجنس والثروة وتقسيم العمل كما أنشأت بعض الدول جيوشًا قوية، والتي لم يكن بالإمكان الحفاظ عليها إلا من خلال فرض الضرائب[74].

الخاتمة

الحضارة تمثل نتيجة تطور المجتمعات البشرية على مر العصور بدأت هذه الرحلة في العصور القديمة، حيث انتقلت المجتمعات من أنماط حياة بدائية إلى مجتمعات أكثر تعقيدًا. شهدت تلك الفترات تغييرات جذرية في أساليب الحياة، بدءًا من الزراعة وتربية الحيوانات وصولًا إلى تطور الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية تعكس الحضارات القديمة كيف ساهم التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في تشكيل الأسس التي قامت عليها المجتمعات البشرية. إن فهمنا لهذه الحضارات يسهم في توضيح مسار التاريخ البشري. يقدم البحث تحليلًا نقديًا لكيفية تعامل السياسات والتخطيط الحضري مع التحديات المعاصرة، مشددًا على ضرورة وضع استراتيجيات تعزز التفاهم والتعايش بين أنماط الحياة المختلفة، وتساهم في الحفاظ على التنوع الثقافي في المجتمعات الحديثة. ومن خلال ذلك، يوفر البحث رؤية شاملة تجمع بين التاريخ، والأنثروبولوجيا، والسياسة، والتخطيط الحضري لفهم التفاعلات المعقدة بين الحضارة، والبداوة، والثقافة، والمدنية. كما يشير إلى أن الثقافة ترتبط بالزراعة، بينما ترتبط المدنية بالمدينة، وتكون الحضارة مرتبطة بالفكر، في حين ترتبط البداوة بالتربية. إن الفهم العميق لهذه الحضارات يعزز تقديرنا للتراث الثقافي الغني الذي نعيشه اليوم، ويؤكد على أهمية الحفاظ على هذا الإرث للأجيال القادمة.

الاستنتاجات والتوصيات:

1- تُعتبر الحضارة نتاجًا للحضور والظهور، وهي تعكس التحضر والتقدم، حيث تسبقها مرحلة البداوة، ويُعد الاستقرار العامل الرئيسي الذي يميزها.
2- نشأت الحضارات نتيجة تفاعل مجموعة من العوامل، بما في ذلك الجغرافية والاقتصادية.
3- لعبت الابتكارات في مجالات الزراعة والصناعة دورًا كبيرًا في تعزيز نمو الحضارات.
4- تركت الحضارات القديمة إرثًا ثقافيًا لا يزال يؤثر في المجتمعات الحديثة.
5- غالبًا ما تولد الحضارات في شكل دول أو أنظمة سياسية، بينما الثقافة موجودة لدى جميع الشعوب، على عكس الحضارة التي تُعتبر مؤشرًا على مرحلة متقدمة تجمع بين الثقافة والمدنية.
6- تُقسم أطوار الحضارة وفقًا لمنظريها حيث تسود الروح عند نشأة الحضارة، بينما يسيطر العقل والمادة على إنسان الحضارة في ذروتها. أما تدهور الحضارة وانحلالها فيحدث نتيجة انفلات الغرائز وضعف النظام الأخلاقي والترف الزائد. وفي المنظور الإسلامي، يرتبط مفهوم الحضارة بفاعلية الإنسان؛ فإذا ارتقى الإنسان، ارتقت الحضارة، وإذا انحدر، عاد إلى البداوة.
7- تُعتبر الحضارة نتيجة لعمل إنساني دؤوب، مما يستدعي البحث في العوامل والدين وتأثيرهما على الشعوب والحضارات القديمة.
8- العمل على دراسة جوانب اخرى من جوانب الحضارات القديمة من خلال تقديم دراسات وابحاث مقارنة.

---

[73] قبايلي، كاهينة: محاضرات في تاريخ الحضارات القديمة، ص 3-141، مطبوعة بيداغوجيه موجهة لطلبة الليسانس والماستر.

[74] Bulliet, Richard W. et. al.: The Earth and its Peoples: A Global History (Boston, Wadsworth, Cengage Learning, 2018)p. 24-29; Spodek, The World's History, pp.51-54.

9- يجب توثيق التراث الثقافي للحضارات القديمة.

المصادر والمراجع

- **القران الكريم.**
1. ابن منظور، ابو الفضل محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، مادة حضر،ج196/4،ط1،دار صادر، بيروت،1997.
2. الازهري، ابو منظور محمد بن احمد الهروي: تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون،17جزء، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1964.
3. اسماعيل ، حلمي محروس: الشرق العربي القديم وحضارته، بلاد مابين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة، دمشق، 1997.
4. امين، احمد: الحضارة في الفكر العربي، دار المعارف، ط2، 1968.
5. بدوي، عبد الرحمن: الحضارة في الفكر العربي، دار النهضة العربية، ط1، 1979.
6. توني،يوسف: معجم المصطلحات الجغرافية،ترجمة حمد الطفيلي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط2 القاهرة، 2002.
7. الجابري، محمد عابد: مفهوم الحضارة ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1985.
8. الحبابي، نوره مسعود: خصائص الحضارات القديمة واثر الدين والفلسفة في تلك الحضارات، بحث منشور ، مجلة الجامعة الاسلامية بغزة، ع30، 2022.
9. ابن خلدون،عبد الرحمن محمد: مقدمة ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2001.
10. ابو خليل، شوقي : الحضارة العربية الاسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، ص137، ط2، دار الفكر، لبنان، 2002
11. خميس، زينب عبد التواب رياض: نشاة وتطور المعابد في بلاد الرافدين خلال عصور ماقبل التاريخ، بحث منشور ، مجلة التراث،ع32، مج 9،اسوان،2019.
12. خورشيد،ابراهيم: مفهوم الثقافة، مجلة الفيصل،تحرير علوي طه الصافي،السعودية،ع20، 1979.
13. ديورانت، ول وايريل: قصة الحضارة، ج1، م1، ترجمة زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت، 2010.
14. رشيد، فوزي: الشرائع العراقية القديمة، دار الحرية للطباعة، مطبعة الجمهورية، بغداد،1973.
15. زكريا، فؤاد : الانسان والحضار ة في العصر الصناعي، مؤسسة هنداوي، القاهرة،2018.
16. زيادة، معن: معالم على طريق تحديث الفكر العربي ، عالم المعرفة،الكويت، رقم ١١٥ ،1987.
17. السلفي، أبو فهر: الدولة المدنية مفاهيم وأحكام، دار عالم النوادر والعصرية للنشر و التوزيع، القاهرة، 2011.
18. السيد ،عزمي طه واخرون: الثقافة الإسلامية، جامعة القدس المفتوحة،عمان- الاردن،ط4، 2008.
19. الشماع،صالح: البداوة والحضارة في القران الكريم، دار النشر كلية الآداب- جامعة بغداد، العراق، ع5، 1962.
20. صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، ج1،دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان،1982.
21. عارف، نصر محمد : الحضارة-الثقافة-المدنية، المعهد العالي للفكر الاسلامي،عمان،ط2، 1994.
22. عارف، نصر محمد: نظريات التنمية السياسية المعاصرة، المعهد العالمي للفكر الاسلامي،سلسلة الرسائل الجامعية(6)،دار القارئ العربي،القاهرة-مصر،1981.
23. العطار، فؤاد: الوجيز في النظم السياسية والقانون الدستوري، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت.
24. العيسوي، عبد الرحمن: الحضارة الإنسانية تطورها وخصائصها، دار الفكر العربي، القاهرة، 2003.
25. غليون، برهان :اغتيال العقل محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية،ط4،الدار البيضاء-المغرب،2006.
26. غنيم، محمد عبد العزيز: الحضارة الإنسانية دراسة في النشوء والتطور، دار المعارف، القاهرة، 2007.
27. فريمون، جان: تلاقي الثقافات والعلاقات الدولية،ع29، محلة الفكر العربي المعاصر،مركز الانماء القومي، 1984.

28.فهيم،حسين : قصة الأنثروبولوجيا : فصول في تاريخ علم الإنسان ، سلسلة عالم المعرفة،الكويت،ع ٩٨، 1982.
29.الفوال، صلاح مصطفى : تنمية المجتمعات الصحراوية، مكتبة القاهرة الحديثة،مصر، 1967.
30.الفيروز آبادي،مجد الدين ابي طاهر محمد بن يعقوب :القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة،بيروت-لبنان،ط2005،8.
31.قبايلي، كاهينة: محاضرات في تاريخ الحضارات القديمة، ص 3-141، مطبوعة بيداغوجيه موجهة لطلبة الليسانس والماستر.
32. كلوكهون، كلايد: الإنسان في المرأة علاقة الأنثروبولوجي بالحياة المعاصرة، ترجمة شاكر مصطفى سليم، المكتبة الأهلية-بغداد، ١٩٦٤.
33.لبيب ،الطاهر: سوسيولوجية الثقافة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية،ط1987،3.
34. لكلرك، جيرار : الأنثروبولوجيا والاستعمار، ترجمة جورج كتورة، معهد الإنماء العربي ،بيروت،١٩٨٢.
35.لنتون، رالف : الأصول الحضارية للشخصية، ترجمة عبد الحميد اللبان، دار اليقظة العربية، بيروت ،١٩٦٤.
36.مشارقة، محمد زهير: الحياة الاجتماعية عند البدو، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر،دمشق،، ط1، 1988.
37.موسى، سلامة : الثقافة والحضارة،مجلة الهلال، القاهرة،مصر،ع2، 1927.
38.مونتاغيو، اشلي: البدائية، ترجمة محمد عصفور،سلسلة عالم المعرفة،الكويت،ع53، 1982.
39. نيف،جون، الاسس الثقافية للحضارة الصناعية، ترجمة: محمود يوسف زايد، دار الثقافة،بيروت، 1962.
40.هيكل، محمد حسيين : الحضارة بين الشرق والغرب، جريدة السياسة الاسبوعية، ملاحق عام 1932.

المصادر الاجنبية

1. Bulliet, Richard W. et. Al: The Earth and its Peoples: A Global History (Boston, Wadsworth, Cengage Learning,2018.
2. Christian, David: Maps of Time: An Introduction to Big History ,University of California Press, 2011.
3. Fernández-Armesto, Felipe: Millennium: A History of the Last Thousand Years Free Press, 1996.
4. Kroeber, A. L., & Kluckhohn, C Culture: a critical review of concepts and definitions. *Papers. Peabody Museum of Archaeology & Ethnology, Harvard University*, *47*(1), viii, 223,1952.
5. Linton, R: *The study of man: an introduction.* Appleton-Century., New York,1936.
6. Spodek, Howard: The World's History .New Jersey, Pearson, 2006.
7. Tylor. H. B. Primitive Culture, New York, Brentano's ،1924.
8. Weiner, Philip . Dictionary of the History of Ideas. New York: Charles Scribner's Sons, (67),1973.